﴿وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٦﴾ [الشعراء: 64 - 66]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

العبرة بالنِّهايات المُشرِقَة

بعد سَرْد أحداث القِصَّة ناسبَ ختمُها ببيان نهاية الظّالمين، بإهلاكهم، وإنجاء المؤمنين ومن معهم، فهو انتقالٌ من أحداث القِصَّة إلى نهايتها، ومن عناصرها المختلفة إلى نهايتها الواضحة البيِّنة، فتظهر المناسبة في توجيه الأنظار صوب النّهايات، لا البدايات.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَأَزۡلَفۡنَا﴾: (زلف) أصلٌ صحيحٌ يدُلُّ على انْدفاعٍ وتقدُّمٍ في قُرْبٍ إلى شيء، يُقالُ من ذلك: ازْدَلَفَ الرَّجُلُ: تقدَّمَ[1]، وكذلك سُمّيتْ مُزْدَلِفَةُ بمكَّة؛ لاقْترابِ النّاسِ إلى مِنًى بعدَ الإفاضةِ من عَرَفات، ويُقالُ: لفُلانٍ عندَ فُلانٍ زُلْفَى، أي: قُربَى، قالَ اللّهُ ﷻ: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ﴾ [ص: 25]، والزَّلَفُ والزُّلْفَةُ: الدَّرَجَةُ والمنزِلَة[2]، ومعنى ﴿وَأَزۡلَفۡنَا﴾ في قوله تعالى ﴿وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ﴾ أي: وقرَّبْنا هناك فرعونَ وقومَه حتى اجتمعوا داخل البحر فأغرقناهم.

2) ﴿ٱلۡأٓخَرِينَ﴾: جمع (آخَر)، وهو الذي يُقابَلُ به الواحد، وأمّا آخِرُ فيُقابَلُ به الأوَّل، وكلاهما من أصل (أخر) الدالّ على تخلّف الشيء عن قرينه، فالآخَرُ: أَحَدُ الشَّيئَيْن، وهو اسْمٌ على أَفْعَل من التأخّر، والأُنْثَى أُخْرَى، وهو بمعنى (غير)، كقولك: رجلٌ آخَر، وثوبٌ آخَر[3]، ومعنى ﴿ٱلۡأٓخَرِينَ﴾ في قوله تعالى ﴿وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ﴾ أي:

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (زلف).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (زلف).
(3) الرّاغب، المفردات، والرّازي، مختار الصّحاح: (أخر).

غير موسى وقومه، أي: المتأخِّرين عنهم في الذّكر، وهُم فرعونُ وقومُه، لِوقوعهم في مقابلة فريق بني إسرائيل.

3) ﴿وَأَنجَيْنَا﴾: (نجو) أَصْلٌ يدلّ على الانْفصالِ من الشَّيء، ومنه نَجا فُلانٌ من فُلانٍ أي خَلَص منه ومِن خَطَره، وأَنْجَيْتُه ونَجَّيْتُه، قالَ تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [النَّمل: 53]، ومنه النَّجْوةُ أي المكان المُرتفِع المنفصلُ بارتفاعه عمّا حوله، ونَجَّيْتُه: تركتُه بِنَجْوَةٍ، ومعنى ﴿وَأَنجَيْنَا﴾ في قوله تعالى ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ أي: وأَنقَذْنا موسى ومَن معه مِن الخطر، فلم يهلك منهم أحد.

4) ﴿أَجْمَعِينَ﴾: (جمع) أَصلٌ واحدٌ، يدُلُّ على تَضامِّ الشَّيءِ[1]، والجمعُ: ضمُّ الشَّيء بتقريبِ بعضِه من بعض، يقالُ: جمعتُه فاجْتمع، قال تعالى: ﴿جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢﴾ [الهُمَزة: 2]، وجَميعٌ وأَجْمَعُ وأَجْمَعون يُستعمَلُ لتأكيدِ الاجْتماعِ على الأمر[2]، ومعناه في قوله تعالى ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ أي: لم يتخلّف أحدٌ من بني إسرائيل عن الإنجاء والخلاص من الهلاك.

5) ﴿أَغْرَقْنَا﴾: (غرق) أصلٌ يدُلُّ على انتهاءٍ في شيءٍ يبلغ أقصاه، والغَرَقُ: الرُّسوبُ بعمقٍ في الماءِ والبلاء، قالَ تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾ [يونس: 90]، ومنه قولُه تعالى: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾، أي: أغرقَهُمُ اللّهُ بإطْباقِ البحرِ عليهم بعد أن دخَلوا فيه متَّبعينَ موسى عليه السلام وقومه[3].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

تُبيِّن الآيات الكريمة كيف أنَّ الله تعالى قد قرَّب وجَمع فِرعونَ وجنودَه أجمعينَ فأهلكَهم بإغراقِهم في البحر[4] وأَنْجَى موسى عليه السلام ومَن

في ذهاب الظّالمين انكشافُ الحقِّ المبين

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (جمع).
(2) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 15/ 5362.
(3) الشَّوكاني، فتح القدير: 4/ 136.
(4) الشَّوكاني، فتح القدير: 4/ 136.

معهُ من بني إسرائيلَ من الغَرَقِ في البحر، وذلك بمرورِهم في البحرِ بعد أنْ جعلَه اللّهُ طُرُقًا يمشونَ فيها[1]، وبعد أنْ أَنْجَى موسى ومن معه من المؤمنين، أَغْرَق فِرعونَ وجُنودَه فلم يَبْقَ منهم رجلٌ إلّا هَلكَ[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو ودلالتها في قوله ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾:

بيان حال فرعون وجنوده بعد انفلاق البحر

الواو في ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾ عاطفةٌ، فإمّا أن تكون قد عَطَفَت قولَه تعالى: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ﴾ على قوله ﴿فَأَوْحَيْنَآ﴾[3]، أو على محذوفٍ يقتضيه السّياقُ، تقديره (فأدخلنا بني إسرائيل فيما انفلق من البحر)[4]، فعُطِفت هذه الجملة لبيان حال فرعون وجنوده بعد دخول بني إسرائيل في البحر.

دلالة التَّعبير بمفردة ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾:

التَّهكُّم بفرعون وجنوده حين الإقدام على الهلاك

معنى قوله تعالى: ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾: قرَّبنا فرعون وجنوده إلى البحر وقدَّمناهم إلى الهلاك، والزُّلفى عند العرب هي المنزلة والقُربى والحُظوة، وقد استُعملت هذه المادَّة في منزلة العذاب كاستعمال البِشارة وغيرها فيه[5]؛ ففي تقريبهم بصورةٍ يظنّون معها نيلَ المنزلة والحظوة تهكُّمٌ بهم ونوعُ مُجاراةٍ لهم، فكان إزلافهم هذا وتقريبهم وبالًا عليهم وعذابًا لهم[6].

فائدة إسناد الفعل لضمير العظمة:

إزلافٌ خاصٌّ بالله تعالى لا يستطيعه البشر

أُسند فعل (أزلف) إلى ضمير العظمة في قوله تعالى: ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾، والمعنى: (قرَّبناهم بعظمتنا من قوم موسى ﷺ)[7]، وجاء الفعل

(1) الشَّوكاني، فتح القدير: 4/ 136.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/ 316.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 19/ 87.
(4) اطفيش، تيسير التَّفسير: 10/ 253، والآلوسي، روح المعاني: 19/ 87.
(5) الرّاغب، المفردات: (زلف)، والخازن، تفسير الخازن: 3/ 326، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 19/ 147.
(6) ابن الجوزي، زاد المسير: 3/ 340، والرَّسعني، رموز الكنوز: 5/ 388.
(7) البقاعي، نظم الدُّرر: 14/ 44.

مُضافًا إلى نون العَظَمة، لأنَّ مثل هذا الإزلاف والتَّقريب لا يقدر عليه إلّا القادر سُبحانه وتعالى، ولبيان أنَّ اللّه تعالى هو من تولَّى إهلاك الطُّغاة بقدرته ورعايته وعنايته.

دلالة التَّعبير بالظَّرف ﴿ثَمَّ﴾:

﴿ثَمَّ﴾ ظرف مكان للبُعد يُراد به هُنا حيث انفلق البحر، ولمّا كان هذا الجمع في غاية العظمة والكثرة وعُلوِّ الرُّتبة في البطش، أشار إلى ذلك بأداة البعد فقال: ﴿ثَمَّ﴾[1].

غرض تقديم الظَّرف على المفعول:

قُدِّم الظَّرف ﴿ثَمَّ﴾ على المفعول ﴿ٱلْأَخَرِينَ﴾؛ للاهتمام بالمُقدَّم وهو موضع التَّقريب الذي سيكون هلاكهم عنده، حيث جرَّأهم حتى أرادوا اقتحامَ طُرق البحر عند رؤية بني إسرائيل فيه، يظنّون أنَّه ماءٌ غير عميق، ثُمَّ أطبقه اللّه عليهم حين أمر الماء أن يعود إلى سُيولته وقانون استطراقه، وهكذا يُنجي اللّه ويُهلك بالشَّيء الواحد[2].

الاهتمام بالإشارة إلى موضع هلاك الظّالمين ونجاة المؤمنين

دلالةُ التّعبير عن قوم فرعون بلفظِ ﴿ٱلْأَخَرِينَ﴾:

جاء التَّعبير عن فرعون وجيشه بعبارة ﴿ٱلْأَخَرِينَ﴾ استهانةً بهم، وتحقيرًا لهم، إذ الناس يومئذٍ إمّا موسى عليه السلام ومن معه، وإمّا الآخرون.

معنى الواو ودلالتها في قوله ﴿وَأَنجَيْنَا﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا﴾ عاطفةٌ على محذوفٍ تقديرُه: فانطبق عليهم البحر وأنجينا موسى وبني إسرائيل ومَن اتَّبعهم على دينهم، فلم يهلك منهم أحدٌ[3]، بمرورهم في فجوة الفِرْق فلم يمسّ أحدًا منهم السّوء[4]؛ فالعطف هُنا تَتِمَّةٌ لأحداث القِصَّة ومجرياتها.

تَتِمَّة أحداث القِصَّة ومجرياتها

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 14/ 44، وابن جزي، التَّسهيل لعلوم التنزيل: 2/ 91، وأبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 161.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 19/ 136، والشعراوي، تفسير الشَّعراوي: 17/ 10580.

(3) بهجت صالح، إعراب القرآن الكريم، ص: 222، وابن كثير، تفسير ابن كثير: 6/ 131.

(4) مدرس، مواهب الرحمن، ص: 105.

دلالة التَّعبير بصيغة (أنجى):

على قدرِ سرعةِ الأخـذ تكون سرعةُ الإنجاء

آثر النَّظم الكريم استعمال الفعل (أنجى) دون (نجَّى) للدّلالة على الإسراع في النَّجاة، مع ما فيه من الدّلالة على قدرة الله تعالى؛ فهذا الإنجاء كان بسرعةٍ وبقدرةٍ عظيمةٍ لا يقدر عليها إلّا الواحدُ القهّارُ، ولم يَدُم طويلًا وقتُ النَّجاة، والقرآن الكريم كثيرًا ما يستعمل (نجّى) للتَّلبُّث والتَّمَهُّل في التَّنجية، ويستعمل (أنجى) للإسراع فيها، وبناءً على هذا فإنّه لمّا كانت النَّجاة من البحر لم تستغرق وقتًا طويلًا ولا مُكثًا، استعمل النَّظم الكريم (أنجى)[1].

دلالةُ إسناد الفعل ﴿وَأَنجَيْنَا﴾ لضمير العظمة:

إنجاءٌ عظيمٌ لا يقدر عليه إلّا العظيم سبحانه

أُسنِدَ فعلُ الإنجاء في قوله تعالى ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ﴾ إلى نون العظمة، لأنّ هذا الفعل لا يقدر عليه إلّا الله تعالى ولأنَّ هذا الإنجاء من أعظم المنن[2].

غرضُ ذِكْر اسم المفعول ﴿مُوسَىٰ﴾ علمًا:

من شأن المقابلةِ رفعُ أقوامٍ وخفضُ آخرين

في ذكر اسم موسى عليه السلام علمًا في قوله تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ تنويهٌ بشأنه وتعظيمٌ لأمره بحصول تلك المِنَّة العظيمة التي أجراها الله على يديه بتلك المُعجزة الباهرة، ولبناء العطف عليه، ولتقوى المقابلةُ بذكر فرعون ومن معه بلفظ ﴿ٱلْءَاخَرِينَ﴾ تحقيرًا لهم.

بلاغة الاحتراس في قوله ﴿وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾:

من تمسّك بهدي الأنبياء حظي بالإنجاء

في قوله تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ احتراسٌ لئلا يُتوهَّم أنَّ النَّجاة كانت مقصورةً على موسى عليه السلام، مع ما فيه من الإشارة إلى أنَّ نجاتهم كانت بسبب معيَّتهم لموسى عليه السلام[3].

(1) السّامرائي، بلاغة الكلمة في التَّعبير القرآني، ص: 72.
(2) العثيمين، تفسير القرآن الكريم، ص: 144.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 19/ 89.

فائدةُ ذِكْرِ المعيَّة:

الإشـارة إلى أنَّ إنـجاء المؤمنين كان ببركة مَعيَّة المرسلين

آثر النَّظمُ الكريم استعمالَ لفظِ المعيَّة في قوله تعالى: ﴿وَمَن مَّعَهُۥ﴾ دون التّصريح ببني إسرائيل، أو لفظ (قومه)، للإشارة إلى أنّ إنجاءهم كان ببركة هذه المعيَّة ومُصاحبة موسى ﷺ لهم، وقيل: ليشمل من آمن به ﷺ من القبط إذ لو قيل: (وقومَهُ) لتبادر إلى الذِّهن بنو إسرائيل دون من سواهم[1].

فائدة التَّقييد بالتَّوكيد المعنويّ ﴿أَجْمَعِينَ﴾:

تـأكـيـد نـجـاة جميع المؤمنين

في كلمة ﴿أَجْمَعِينَ﴾ من قوله تعالى ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ توكيدٌ للاحتراس فوق ما لِلَّفْظِ من التَّناسب الإيقاعيّ مع الفاصلة، أي أنجينا موسى وبني إسرائيل ومن اتَّبعهم على دينهم، فلم يهلك منهم أحدٌ[2].

دلالةُ استعمال حرف ﴿ثُمَّ﴾:

إغـراقُ فـرعـون كـان بَـعْـدَ مُـهلةٍ وتَـراخٍ من نجاة موسى ﷺ

لمّا خرج أصحاب موسى ﷺ جميعُهم، وتكاملَ أصحاب فرعون جميعُهم انطبق عليهم البحر[3]، فتُرِكَ البحرُ على حاله المفروق مُدَّةً من الزَّمن، حتّى يكون فرعونُ وجيشُه كُلُّهم في وسط الطَّريق اليَبَس في البحر، فجاء النَّظمُ الكريمُ بأداة ﴿ثُمَّ﴾ المُفيدة للتَّراخي الزَّمانيّ؛ لأنَّ إغراقهم كان بَعْدَ مُهلةٍ وتَراخٍ من نجاة موسى ﷺ، وقد تَدُلُّ على التَّراخي المعنويّ؛ وذلك لِما بَيْنَ المُتعاطفَين من المُباعدة المعنويَّة[4].

دلالةُ إسناد فعل الإغراق إلى الضّمير:

إغـراقٌ عظيمٌ في إهلاكِه، لعظمة الـخـالـق وشـدّة انتقامِه

أُسند فعلُ الإغراق إلى ضمير العظمة في قوله تعالى: ﴿أَغْرَقْنَا﴾

(1) الآلوسي، روح المعاني: 19/ 89، واطفيش، تيسير التَّفسير: 10/ 253.
(2) ابن كثير، تفسير ابن كثير: 6/ 131.
(3) صالح بهجت، إعراب القرآن الكريم، ص: 222.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 19/ 89.

أي: إغراقًا هو على حسب عظمتنا[1]، حيث أمر الله البحرَ بأن ينضمّ ماؤه عليهم، فسالت الجبال المائيّة عليهم مُتدفِّقَةً بشِدَّةٍ وعُنفٍ في منظرٍ رهيبٍ مهيبٍ عجيبٍ، فعذّبتهم وأعرقتهم أجمعين.

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 14/ 45.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 38 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-80-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 38 : المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-80-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»